

مناهل العرفان في علوم القرآن

وفي رواية أخرى أنه قال أسجع الجاهلية وكهانها .

فأنت ترى أنه ذم هذا السجع المصنوع وجعل صاحبه من إخوان الكهان ومن جهلة الجاهلية . وما ينبغي له أن يذم شيئاً ثم يقع فيه .

وحاشاه وحاشا بيانه الشريف من هذا الإسفاف والتعمل الخسيس .

ودونك السنة النبوية فاقراً منها ما شئت فلن تجد إلا جيذا مطبوعاً ومعاداً أن تجد فيها متكلفاً مصنوعاً .

والقرآن أعلى في هذا الباب وأجل .

ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر 54 القمر 32 .

الجواب الثاني أن هذه الشبهة تخالف في أساسها ما هو واقع معروف ذلك أن القرآن الكريم منه ما نزل مفاجأة على غير انتظار وتفكير وبدون تلبث وتدبير وهو أكثره .

ومنه ما نزل بعد تشوف واستشراق وطول انتظار وهو أقله .

ومع هذا فأسلوبه الأعلى هو أسلوبه الأعلى ونظمه المعجز هو نظم المعجز في الحالين على

سواء .

تأمل ما جاء في سبب نزول قوله سبحانه ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله

18 الكهف 23 24 وهو أن اليهود قالت لقريش سلوا محمداً عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي

القرنين فسأله فقال ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه ثم

نزلت الآيات جواباً لتلك الأسئلة بعد تلك المدة الطويلة التي قدرها بعضهم بأربعين يوماً

وأنت إذا قرأتها لن تجد فرقاً بين أسلوبها وأسلوب كثرة القرآن الغامرة التي نزلت مباغتة

مفاجئة .

وهذا الذي يقال في القرآن يقال مثله في الحديث النبوي .

فمنه ما كان وليد التفكير والتدبير والمشاورة والمداولة كحديثه في شؤون الحرب والصلح

ومنه ما كان وحي الساعة وإرسال البديهة كحديثه الكثير فيما هو ظاهر من أمور الدين .

ومنه ما كان وحي الله إليه يهبط به الأمين جبريل كحديث المعتمر المتضمن بالطيب وقد جاء

النبي يسأله عن طيبه في عمرته هذه .

فسكت النبي ساعة حتى جاءه الوحي ولما سري عنه قال أين السائل عن العمرة فجاءه به فقال

. مرات ثلاث فاغسله بك الذي الطيب أما E

وأما الجبة فانزعها واصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك رواه الشيخان .

نعرف هذه الظروف المختلفة لأحاديث رسول الله ﷺ .

ولكنها مع اختلافها لم يختلف فيها الأسلوب النبوي بل هو طراز واحد من أرقى الأساليب البشرية إن لم يكن أرقاها وقلما تلحظ فيه تفاوتاً كثيراً .

لا فرق في ذلك بين ما أرسله على البديهة وما أجال فيه الرأي والاستشارة وما نزل به وحي السنة وما احتفل به احتفالاً ممتازاً بالمواقف المشهودة والمجامع المحشودة .

إذن هما نمطان متميزان لا يشتبهان نمط القرآن كله ونمط الحديث كله لكل منهما